وأخرجوا اليه بنتا صغيرة لنور الدين فأكرمها وأعطاها شيأ كثيرا وقال لها ما ترومين فقالت أريد قلعة عزاز وكانوا قد علموها ذلك فسلمها السلطان اليهم واستقر الصلح ورحل السلطان من حلب في العشرين من المحرم سنة اثنتين وسبعين

(من كتاب التاريخ لأبي الفداء المعروف بصاحب حماة)

الباب الثامن في التراجم

أبو الطيب أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكندي الكوفي المعروف بالمتنبي الشاعر المشهور وقيل هو أحمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار والله أعلم

(٣٠٣ - ٣٥٤ هجريه)

هو من أهل الكوفة وقدم الشام في صباه وجال في أقطاره واشتغل بفنون الادب ومهر فيها وكان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها وحوشيها ولا يسأل عن شئ الا واستشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر حتى قيل ان الشيخ أبا علي الفارسي صاحب الايضاح والتكملة قال له يوما كم لنا من الجموع على وزن فعلى فقال المتنبي في الحال حجلى ونظربى قال الشيخ أبو علي فطالعت كتب اللغة ثلاث ليال على أن أجد لهذين الجمعين ثالثا فلم أجد وحسبك من يقول في حقه أبو علي هذه المقالة وحجلى جمع حجل وهو الطائر الذي يسمى القبج والنظربى جمع نظربان على مثال قطران وهي دويبة منتنة الرائحة وأما شعره فهو في النهاية ولا حاجة الى ذكر شئ منه لشهرته لكن الشيخ تاج الدين الكندي رحمه الله كان يروي له بيتين لا يوجدان في ديوانه وكانت روايته لهما بالاسناد الصحيح المتصل به فأحببت ذكرهما لغرابتهما وهما

أبعين مفتقر اليك نظرتني * فأهنتني وقذفتني من حالق
لست الملوم أنا الملوم لأنني * أنزلت آمالي بغير الخالق

ولما كان بمصر مرض وكان له صديق يغشاه في علته فلما أبل (١) انقطع عنه فكتب اليه وصلتني وصلك الله معتلا وقطعتني مبلا فان رأيت ان لا تحبب العلة الي ولا تكدر الصحة علي فعلت ان شاء الله تعالى والناس في شعره على طبقات فمنهم من يرجحه على أبي تمام ومن بعده ومنهم من يرجح أبا تمام عليه وقال أبو العباس أحمد بن محمد الماسي الشاعر كان قد بقي من الشعر زاوية فدخلها المتنبي وكنت أشتهي أن أكون قد سبقته الى معنيين قالهما ما سبق اليهما أحدهما قوله

رماني الدهر بالارزاء حتى * فؤادي في غشاء من نبال
فصرت اذا أصابتني سهام * تكسرت النصال على النصال

والآخر قوله في جحفل ستر العيون غباره * فكأنما يبصرن بالآذان

(١) ابل أي برئ من مرضه وحسنت حاله بعد الهزال كما يؤخذ من الصحاح والقاموس

واعتنى العلماء بديوانه فشرحوه وقال لى أحد المشايخ الذين أخذت عنهم وقفت له على أكثر من أربعين شرحا ما بين مطولات ومختصرات ولم يفعل هذا بديوان غيره ولاشك انه كان رجلا مسعودا ورزق فى شعره السعادة التامة وانما قيل له المتنبى لانه ادعى النبوة فى بادية السماوة وتبعه خلق كثير من بنى كلب وغيرهم فخرج اليه لؤلؤ أمير حمص نائب الاخشيدية فأسره وتفرق أصحابه وحبسه طويلا ثم استتابه وأطلقه وقيل غير ذلك وهذا أصح وقيل انه قال أنا أول من تنبأ بالشعر ثم التحق بالامير سيف الدولة بن حمدان فى سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ثم فارقه ودخل مصر سنة ست وأربعين وثلثمائة ومدح كافور الاخشيدى وأنوجور بن الاخشيد وكان يقف بين يدى كافور وفى رجليه خفان وفى وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيوف والمناطق ولما لم يرضه هجاه وفارقه ليلة عيد النحر سنة خمسين وثلثمائة ووجه كافور خلفه رواحل الى جهات شتى فلم يلحق وكان كافور وعده بولاية بعض أعماله فلما رأى تعاليه فى شعره وسموه بنفسه خافه وعوتب فيه فقال يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد صلى الله عليه وسلم أما يدعى المملكة مع كافور فسبكم قال أبو الفتح بن جنى النحوى كنت قرأت ديوان أبى الطيب المتنبى عليه فقرأت عليه قوله فى كافور القصيدة التى أولها

أغالب فيك الشوق والشوق أغلب * وأعجب من ذا الهجر والوصل أعجب

حتى بلغت الى قوله

ألا ليت شعرى هل أقول قصيدة * ولا أشتكى فيها ولا أتعتب
وبى ما يذود الشعر عنى أقله * ولكن قلبى يا ابنة القوم قلب

فقلت له بعز على كيف يكون هذا الشعر فى ممدوح غير سيف الدولة فقال حذرناه وأنذرناه فما نفع ألست القائل فيه

أطا الجود أعط الناس ما أنت مالك * ولا تعطين الناس ما أنا قائل

فهو الذى أعطانى كافورا بسوء تدبيره وقلة تمييزه وكان لسيف الدولة مجالس يحضره العلماء كل ليلة فيتكلمون بحضرته فوقع بين المتنبى وبين ابن خالويه النحوى كلام فوثب ابن خالويه على المتنبى فضرب وجهه بمفتاح كان معه فشجه وخرج ودمه يسيل على ثيابه فغضب وخرج الى مصر وامتدح كافورا ثم رحل عنه وقصد بلاد فارس ومدح عضد الدولة بن بويه الديلمى فأجزل جائزته ولما رجع من عنده قاصدا بغداد ثم الى الكوفة فى شعبان لثمان خلون منه عرض له فاتك بن أبى الجهل الاسدى فى عدة من أصحابه وكان مع المتنبى أيضا جماعة من أصحابه فقاتلوهم فقتل المتنبى وابنه محسد وغلامه مفلح بالقرب من النعمانية فى موضع يقال له الصافية وقيل جبال الصافية

من الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين وذكر ابن رشيق في كتاب العمدة في باب منافع الشعر ومضاره أن أبا الطيب لما فر حين رأى الغلبة قال له غلامه لا يتحدث الناس عنك بالفرار أبدا وأنت القائل

فالخيل والليل والبيداء تعرفني * والحرب والضرب والقرطاس والقلم

فكر راجعا حتى قتل وكان سبب قتله هذا البيت وذلك يوم الاربعاء لست بقين وقيل لثلاث بقين وقيل لليلتين بقيتا من شهر رمضان سنة أربع وخمسين وثلثمائة وقيل ان قتله كان يوم الاثنين لثمان بقين من شهر رمضان وقيل لخمس بقين من شهر رمضان من السنة المذكورة ومولده في سنة ثلاث وثلثمائة بالكوفة في محلة تسمى كندة فنسب اليها وليس هو من كندة التي هي قبيلة بل هو جعفي القبيلة بضم الجيم وسكون العين المهملة وبعدها فاء وهو جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج واسمه مالك بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان وانما قيل له سعد العشيرة لانه كان يركب فيما قيل في ثلثمائة من ولده وولد ولده فاذا قيل له من هؤلاء قال عشيرتي مخافة العين عليهم ويقال ان أبا المتنبي كان سقاء بالكوفة ثم انتقل الى الشام بولده ونشأ ولده بالشأم والى هذا أشار بعض الشعراء في هجو المتنبي حيث قال

أي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حينا يبيع في الكوفة الما * ء وحينا يبيع ماء المحيا

ولما قتل المتنبي رثاه أبو القاسم مظفر بن علي الطبسي بقوله

لا رعى الله سرب هذا الزمان * اذ دهانا في مثل ذاك اللسان
ما رأى الناس ثاني المتنبي * أي ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جيـ * ـش وفي كبرياء ذي سلطان
هو في شعره نبي ولكن * ظهرت معجزاته في المعاني

والطبسي بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وبعدها سين مهملة هذه النسبة الى مدينة في البرية بين نيسابور وأصبهان وكرمان يقال لها طبس ويحكى أن المعتمد بن عباد اللخمي صاحب قرطبة واشبيلية أنشد يوما في مجلسه بيت المتنبي وهو من جملة قصيدته المشهورة

اذا ظفرت منك العيون بنظرة * أثاب بها معي المطي ورازمه

وجعل يردده استحسانا له وفي مجلسه أبو محمد عبد الجليل بن وهبون الاندلسي فانشد ارتجالا

لئن جاد شعرا ابن الحسين فانما * تجيد العطايا والاله تفتح اللها
تنبأ عجبا بالقريض ولو درى * بانك تروى شعره لتألها

وذكر الافليلى أن المتنبي أنشد سيف الدولة بن حمدان فى الميدان قصيدته التى أولها

لكل امرئ من دهره ماتعودا * وعادات سيف الدولة الطعن فى العدا

فلما عاد سيف الدولة الى داره استعاده اياها فأنشدها قاعدا فقال بعض الحاضرين يريد أن يكيد أبا الطيب لو أنشدها قائما لاسمع فان أكثر الناس لايسمعون فقال أبو الطيب أما سمعت أولها * لكل امرئ من دهره ماتعودا * وهذا من مستحسن الاجوبة وبالجملة فسمو نفسه وعلو همته وأخباره وماجرياته كثيرة والاختصار أولى واسم والده محمد بضم الميم وفتح الحاء المهملة والسين المهملة المشددة وبعدها دال مهملة (من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو العلا المعرى

(٣٦٣ - ٤٤٩ هجريه)

أبو العلا أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر ابن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدى بن غطفان ابن عمرو بن بريح بن جذيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة التنوخى المعرى اللغوى الشاعر

كان متضلعا من فنون الادب قرأ النحو واللغة على أبيه بالمعرة وعلى محمد بن عبد الله بن سعد النحوى بحلب وله التصانيف الكثيرة المشهورة والرسائل المأثورة وله من النظم لزوم مالايلزم وهو كبير يقع فى خمسة أجزاء أو مايقاربها وله سقط الزند أيضا وشرحه بنفسه وسماه ضوء السقط و بلغنى ان له كتابا سماه الايك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردف يقارب المائة جزء فى الادب أيضا وحكى لى من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف وقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد وكان علامة عصره وأخذ عنه أبو القاسم على بن المحسن التنوخى والخطيب أبو زكريا التبريزى وغيرهما وكانت ولادته يوم الجمعة عند مغيب الشمس لثلاث بقين من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستين وثلثمائة بالمعرة وعمى من الجدرى أول سنة سبع وستين غشى بنى عينيه بياض وذهبت اليسرى جملة قال الحافظ السلفى أخبرنى أبو محمد عبد الله بن الوليد بن عزيب الايادى أنه دخل مع عمه على أبى العلاء يزوره فرآه قاعدا على سجادة لبد وهو شيخ قال فدعا لى ومسح على رأسى وكنت صبيا قال وكأنى أنظر اليه الساعة والى عينيه احداهما نادرة والاخرى غائرة جدا وهو مجدر الوجه نحيف الجسم ولما فرغ من تصنيف كتاب اللامع العزيزى فى شرح شعر المتنبى وقرئ عليه أخذ الجماعة فى وصفه فقال أبو العلاء كأنما نظر المتنبى الى بلحظ الغيب حيث يقول

أنا الذى نظر الاعمى الى أدبى * وأسمعت كلماتى من به صمم

واختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب وديوان البحتري وسماه عبث الوليد وديوان المتنبي وسماه معجز أحمد وتكلم على غريب أشعارهم ومعانيها وما آخذهم من غيرهم وما أخذ عليهم وتولى الانتصار لهم والنقد في بعض المواضع عليهم والتوجيه في أماكن غلطهم ودخل بغداد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ودخلها ثانيا سنة تسع وتسعين وأقام بها سنة وسبعة أشهر ثم رجع الى المعرة ولزم منزله وشرع في التصنيف وأخذ عنه الناس وسار اليه الطلبة من الآفاق وكاتبه العلماء والوزراء وأهل الاقدار وسمى نفسه رهين المحبسين للزومه منزله ولذهاب عينيه ومكث مدة خمس وأربعين سنة لا يأكل اللحم تدينا لانه كان يرى رأى الحكماء المتقدمين وهم لا يأكلونه كي لا يذبحوا الحيوان ففيه تعذيب له وهم لا يرون الايلام مطلقا في جميع الحيوانات وعمل الشعر وهو ابن احدى عشرة سنة ومن شعره في اللزوم قوله

لا تطلبن بآلة لك رتبة * قلم البليغ بغير جد مغزل
سكن السما كان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

توفي يوم الجمعة ثالث وقيل ثاني شهر ربيع الاول وقيل ثالث عشر سنة تسع وأربعين وأربعمائة بالمعرة وبلغني أنه أوصى أن يكتب على قبره هذا البيت

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

وهو أيضا متعلق باعتقاد الحكماء فانهم يقولون ايجاد الولد واخراجه الى هذا العالم جناية عليه لانه يتعرض للحوادث والآفات وكان مرضه ثلاثة أيام ومات في اليوم الرابع ولم يكن عنده غير بنى عمه فقال لهم في اليوم الثالث اكتبوا عني فتناولوا الدوى والاقلام فأملى عليهم غير الصواب فقال القاضي أبو محمد عبد الله التنوخي أحسن الله عزاءكم في الشيخ فانه ميت فمات ثاني يوم ولما توفي رثاه تلميذه أبو الحسن علي بن هماما بقوله

ان كنت لم ترق الدماء زهادة * فلقد أرقت اليوم من جفني دما
سيرت ذكرك في البلاد كأنه * مسك فسامعه تضمخ أوفا (1)
وأرى الحجيج اذا أرادوا قبلة * ذكراك أخرج فدية من أحرما

وقد أشار في البيت الاول الى ما كان يعتقده ويتدين به من عدم الذبح كما تقدم ذكره وقبره في ساحة من دور أهله وعلى الساحة باب صغير قديم وهو على غاية ما يكون من الاهمال وترك القيام بمصالحه وأهله لا يحتفلون به والتنوخي بفتح التاء المثناة من فوقها وضم النون المخففة وبعد الواو خاء معجمة وهذه النسبة الى تنوخ وهو اسم لعدة قبائل اجتمعوا قديما بالبحرين وتحالفوا على التناصر

(1) قوله مسك الى آخره في بعض النسخ * مسك يضمخ منه سمعا أوفا * ولعل ذلك أوفق تأمل

وأقاموا هنالك فسموا تنوخا والتنوخ الاقامة وهذه القبيلة احدى القبائل الثلاث التى هى نصارى العرب وهم بهراء وتنوخ وتغلب والمعرى بفتح الميم والعين المهملة وتشديد الراء نسبة الى معرة النعمان وهى بلدة صغيرة بالشام بالقرب من حماة وشيزر وهى منسوبة الى النعمان ابن بشير الانصارى رضى الله تعالى عنه فانه تديرها فنسبت اليه وأخذها الفرنج من المسلمين فى محرم سنة اثنتين وتسعين واربعمائة ولم تزل بأيدى الفرنج من يومئذ الى أن فتحها عماد الدين زنكى بن آق سنقر سنة تسع وعشرين وخمسمائة ومن على أهلها بأملاكهم

(من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

الاصبهانى صاحب كتاب الاغانى

(٢٨٤ - ٣٥٦ هجريه)

أبو الفرج على بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان ابن محمد بن مروان بن الحكم بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشى الاموى الكاتب الاصبهانى

صاحب كتاب الاغانى وجده مروان بن محمد المذكور آخر خلفاء بنى أمية وهو اصبهانى الاصل بغدادى المنشأ كان من أعيان أدبائها وافراد مصنفيها روى عن عالم كثير من العلماء يطول تعدادهم وكان عالما بايام الناس والانساب والسير قال التنوخى ومن المتشيعين الذين شاهدناهم أبو الفرج الاصبهانى كان يحفظ من الشعر والاغانى والاخبار والآثار والاحاديث المسندة والنسب مالم أر قط من يحفظ مثله ويحفظ دون ذلك من علوم أخر منها اللغة والنحو والخرافات والسير والمغازى ومن آلة المنادمة شيأ كثيرا مثل علم الجوارح والبيطرة وشيأ من الطب والنجوم والاشربة وغير ذلك وله شعر يجمع اتقان العلماء واحسان الظرفاء الشعراء وله المصنفات المستملحة منها كتاب الاغانى الذى وقع الاتفاق على انه لم يعمل فى بابه مثله يقال انه جمعه فى خمسين سنة وحمله الى سيف الدولة بن حمدان فاعطاه ألف دينار واعتذر اليه وحكى عن الصاحب بن عباد أنه كان فى أسفاره وتنقلاته يستصحب حمل ثلاثين جملا من كتب الادب ليطالعها فلما وصل اليه كتاب الاغانى لم يكن بعد ذلك يستصحب سواه استغناء به عنها ومنها كتاب القيان وكتاب الاماء الشواعر وكتاب الديارات وكتاب دعوة الاطباء وكتاب مجرد الاغانى وكتاب أخبار جحظة البرمكى ومقاتل الطالبين وكتاب الحانات واداب الغرباء وحصل له ببلاد الاندلس كتب صنفها لبنى أمية ملوك الاندلس يوم ذلك وسيرها اليهم سرا وجاءه الانعام منهم سرا فمن ذلك كتاب نسب بنى عبد شمس وكتاب أيام العرب ألف وسبعمائة يوم وكتاب التعديل والانتصاف فى مآثر العرب ومثالبها

وكتاب جمهرة النسب وكتاب نسب بني شيبان وكتاب نسب المهالبة وكتاب نسب بني تغلب ونسب بني كلاب وكتاب الغلمان المغنين وغير ذلك وكان منقطعا الى الوزير المهلبي وله فيه مدائح فمن ذلك قوله

ولما انتجعنا الائذين بظله * أعان وماعنى ومن ومامنا
وردنا عليه مقترين فراشنا * وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وله من قصيدة يهنئه بمولود جاءه من سرية رومية

اسعد بمولود أتاك مباركا * كالبدر أشرق جنح ليل مقمر
سعد لوقت سعادة جاءت به * أم حصان من بنات الاصفر
متبجح في ذروتي شرف العلا * بين المهاب منتماه وقيصر
شمس الضحى قرنت الى بدر الدجى * حتى اذا اجتمعا أتت بالمشتري

وكتب الى بعض الرؤساء وكان مريضا

أبا محمد المحمود يا حسن الـ * ـاحسان والجود يا بحر الندى الطامي
حاشاك من عود عواد اليك ومن * دواء داء ومن للتام آلام

وشعره كثير ومحاسنه شهيرة وكانت ولادته سنة أربع وثمانين ومائتين وفي هذه السنة مات البحتري الشاعر وتوفي يوم الاربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلثمائة ببغداد وقيل سنة سبع وخمسين والاول أصح وكان قد خلط قبل أن يموت رحمه الله تعالى وهذه أي سنة ست وخمسين مات فيها عالمان كبيران وثلاثة ملوك كبار فالعالمان أبو الفرج المذكور وأبو علي القالي والملوك الثلاثة سيف الدولة بن حمدان ومعز الدولة بن بويه وكافور الاخشيدي وهو مذكور في ترجمة كل واحد

(من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الشاعر المشهور

(٣١٦ - ٣٨٣ هجريه)

ويقال له الطبرخزي أيضا لان أباه من خوارزم وأمه من طبرستان فركب له من الاسمين نسبة كذا ذكره السمعاني وهو ابن أخت أبي جعفر محمد بن جرير الطبري صاحب التاريخ وأبو بكر المذكور أحد الشعراء المجيدين الكبار المشاهير كان اماما في اللغة والانساب أقام بالشام مدة وسكن بنواحي حلب وكان يشار اليه في عصره ويحكى انه قصد حضرة الصاحب ابن عباد وهو بأرجان فلما وصل الى بابه قال لاحد حجابه قل للصاحب على الباب أحد الادباء وهو يستأذن في الدخول فدخل الحاجب وأعلمه فقال الصاحب قل له قد ألزمت نفسي أن لا يدخل علي من الادباء الا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع اليه

وقل له هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء فدخل الحاجب فاعاد عليه ما قال فقال الصاحب هذا يكون أبا بكر الخوارزمي فانه له في الدخول فدخل عليه فعرفه وانبسط له وأبو بكر المذكور له ديوان رسائل وديوان شعر وقد ذكره الثعالبي في كتاب اليتيمة وذكر قطعة من نثره ثم أعقبها بشئ من نظمه فمن ذلك قوله

رأيتك أن أيسرت خيمت عندنا * مقيما وأن أعسرت زرت لماما
فما أنت الا البدر ان قل ضوءه * أغب وان زاد الضياء أقاما

ومن شعره أيضا

يا من يحاول صرف الراح يشربها * ولا يفك لما يلقاه قرطاسا
الكاس والكيس لم يقض امتلاؤهما * ففرغ الكيس حتى تملأ الكاسا

وفيه يقول أبو سعيد أحمد بن شهيب الخوارزمي

أبو بكر له أدب وفضل * ولكن لا يدوم على الوفاء
مودته اذا دامت لخل * فمن وقت الصباح الى المساء

وملحه ونوادره كثيرة ولما رجع من الشام سكن نيسابور ومات بها في منتصف شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين وثلثمائة وذكر شيخنا ابن الاثير في تاريخه انه توفي سنة ثلاث وتسعين والله أعلم رحمه الله تعالى وكان قد فارق الصاحب بن عباد غير راض فعمل فيه

لا تحمدن ابن عباد وان هطلت * يداه بالجود حتى أخجل الديما
فانه خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

فبلغ ابن عباد ذلك فلما بلغه خبر موته أنشد

أقول لركب من خراسان قافل * أمات خوارزميكم قيل لي نعم
فقلت اكتبوا بالجص من فوق قبره * ألا لعن الرحمن من كفر النعم

قلت هكذا وجدت هذين البيتين منسوبين الى أبي بكر الخوارزمي المذكور في الصاحب ابن عباد ذكر ذلك جماعة من الادباء في مجاميعهم وفي مذاكراتهم ثم نظرت في كتاب معجم الشعراء تأليف المرزباني فوجدت في ترجمة أبي القاسم الاعمى واسمه معاوية بن سفيان وهو شاعر راوية بغدادي أحد غلمان الكسائي اتصل بالحسن بن سهل يؤدب أولاده فعتب عليه في شئ فقال يهجوه

لا تحمدن حسنا في الجود ان مطرت * كفاه غزرا ولا تذممه ان زرما
فليس يمنع ابقاء على نشب * ولا يجود لفضل الحمد مغتنما
لكنها خطرات من وساوسه * يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

والله أعلم بذلك وقد تقدم الكلام على الخوارزمي وطبرخزى بفتح الطاء المهملة والباء الموحدة وسكون الراء وفتح الخاء المعجمة وبعدها زاى وقد سبق فى أول الترجمة الكلام على سبب هذه النسبة (من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذانى الحافظ المعروف ببديع الزمان

(٣٥٣ - ٣٩٨ هجريه)

صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة وعلى منواله نسج الحريرى مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره واعترف فى خطبته بفضله وانه الذى أرشده الى سلوك ذلك المنهج وهو أحد الفضلاء الفصحاء روى عن أبى الحسين أحمد بن فارس صاحب المجمل فى اللغة وعن غيره وله الرسائل البديعة والنظم المليح وسكن هراة من بلاد خراسان فمن رسائله الماء اذا طال مكثه ظهر خبثه واذا سكن متنه تحرك نتنه وكذلك الضيف يسمج لقاؤه اذا طال ثواؤه ويثقل ظله اذا انتهى محله والسلام ومن رسائله حضرته التى هى كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومشعر الكرم لا مشعر الحرم ومنى الضيف لا منى الخيف وقبلة الصلات لا قبلة الصلاة وله من تعزية الموت خطب قد عظم حتى هان ومس قد خشن حتى لان والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجنت حتى صار أصغر ذنوبها فلننظر يمنة هل ترى الا محنة ثم انظر يسرة هل ترى الا حسرة ومن شعره من جملة قصيدة طويلة

وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا * لو كان طلق المحيا يعطر الذهبا
والدهر لو لم يخن والشمس لو نطقت * والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

ومن شعره فى ذم همذان ثم وجدتهما لابى العلاء محمد بن حسول الهمذانى

همذان لى بلد أقول بفضله * لكنه من أقبح البلدان
صبيانه فى القبح مثل شيوخه * وشيوخه فى العقل كالصبيان

وله كل معنى مليح حسن من نظم ونثر وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما بمدينة هراة رحمه الله تعالى ثم وجدت فى آخر رسائله التى جمعها الحاكم أبو سعيد عبد الرحمن بن محمد بن دوست ما مثاله هذا آخر الرسائل وتوفى رحمه الله تعالى بهراة يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين وثلثمائة قال الحاكم المذكور وسمعت الثقاة يحكون انه مات من السكتة وعجل دفنه فأفاق فى قبره وسمع صوته بالليل وأنه نبش عنه فوجدوه قد قبض على لحيته ومات من هول القبر (من كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان)

ترجمـــة ابن خلكان

هو من بيت كبير بناحية اربل مدينة بالعراق على الشاطئ الشرقي من نهر دجلة بالقرب من الموصل من جهتها الشرقية وذكر ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية فيمن توفي من الاعيان سنة احدى وثمانين وستمائة فقال

ابن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر بن خلكان الاربلي الشافعي أحد الائمة الفضلاء والسادة العلماء والصدور الرؤساء وهو أول من جدد في أيامه قضاة القضاة من بقية المذاهب فاستقلوا بالاحكام بعدما كانوا يكونون من نوابه وقد عزل بابن الصائغ ثم أعيد الى الحكم بعد سنتين ثم أعيد بن الصائغ وولي التدريس بعدة مدارس لم تجتمع لغيره ولم يبق معه في آخر وقته سوى الامينية وبيدانيه كمال الدين موسى تدريس النجيبية وكانت وفاته بالمدرسة النجيبية المذكورة يوم السبت آخر النهار السادس والعشرين من رجب ودفن من الغد بسفح قاسيون عن ثلاث وسبعين سنة وقد كان له نظم حسن رائق ومحاضرته في غاية الحسن وله التاريخ المفيد الذي وسمه بوفيات الاعيان من أكبر المصنفات وقال المؤلف نفسه في ترجمة أم المؤيد النيسابورية ما نصه ولنا منها اجازة كتبتها هي في بعض شهور سنة عشر وستمائة ومولدي يوم الخميس بعد صلاة العصر حادي عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وستمائة بمدينة اربل بمدرسة سلطانها الملك المعظم مظفر الدين بن زين الدين رحمهما الله وقال أيضا في ترجمة عبد الاول السنجري انه سمع صحيح البخاري سنة احدى وعشرين وستمائة بمدينة اربل على الشيخ الصالح ابن هبة الله الذي ذكر بعد أنه توفي في محرم أول السنة المذكورة وكان والد المؤلف متولي التدريس بمدرسة الملك المعظم المذكورة الى أن توفي سنة عشر وستمائة كما ذكره هو في ترجمة أحمد بن كمال الدين وخرج المؤلف من بلده اربل سنة ٦٢٦ كما ذكره هو في ترجمة عيسى بن سنجر ودخل حلب في أواخر السنة المذكورة وأقام فيها سنين وكان في سنة ٦٣٣ مقيما بدمشق وفي سنة ٦٣٧ كان مقيما بمصر كما ذكره في ترجمة أحمد بن قطان الاربلي وذكر أيضا بعض أحواله مع السلطان بيبرس في خاتمة هذا التأليف وبالجملة فمن تتبع كتابه هذا وتصفحه يعلم أحواله وأطواره وتنقلاته ثم رأيت ابن الكتبي صاحب كتاب فوات الوفيات المتوفى سنة ٧٦٤ ترجمه فقال

مولانا قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان الاربلي الشافعي تولى قضاء الشام ثم عزل عنه بابن الصائغ ثم عزل ابن الصائغ بعد بضع سنين وكان يوما مشهودا وجلس في منصب حكمه وتكلم الشعراء فقال الشيخ رشيد الدين الفارقي

أنت فى الشام مثل يوسف فى مصـ * ـر وعندى أن الكرام جناس
ولكل سبع شـــداد وبعد السبع عام فيـه يغاث الناس

وقال سعد الدين الفارقى

أذقت الشام سبع سنين جدبا * غداة هجرته هجرا جميـلا
فلما زرته من أرض مصـــر * مددت عليـه من كفيك نيلا

وقال نور الدين بن مصعب

رأيت أهـــل الشام طرا * مافيهـــم قط غـير راض
نالهم الخير بعـــد شر * فالوقت بسـط بلا انقباض
وعوضوا فرحة بحـــزن * مذ أنصف الدهر فى التقاضى
وسرهـم بعـــد طول غم * قدوم قاض وعزل قاض
فكلهم شاكـر وشاك * بحال مستقبل وماضى

وكان له ميل الى بعض أولاد الملوك وله فيه أشعار رائقة يقال انه أول مازاره بسط له الراحة وقال له ماعندى أعز من هذه طأ عليها ولما فشا أمرهما وعلم به أهله منعوه الركوب فقال ابن خلكان

ياسادتى انى قنعت وحقكـم * فى حبكم منكم بأيسر مطلب
ان لم تجودوا بالوصال تعطفا * ورأيتم هجرى وفرط تجنبى
لاتمنعوا عينى القريحة أن ترى * يوم الخميس جمالكم فى الموكب
لو كنت تعلم ياحبيبى ماالذى * ألقاه من كمد اذا لم تركـب
لرحمتنى ورثيت لى من حالة * لولاك لم يك حملها من مذهبى
ومن البليـــة والرزية أننى * أقضى وماتدرى الذى قد حل بى
قسما بوجهك وهو بدر طالع * وبليـــل طرتك التى كالغيهب
وبقامة لك كالقضيب ركبت من * أخطارها فى الحب أعظم مركب
وبطيب مبسمك الشهى البارد الـ * ـعذب النمـير اللؤلؤى الاشنب
لولم أكن فى رتبـة أرعى لها الـ * ـعهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سرى فى هواك ولذلى * خلع العـــذار ولو ألح مؤنبى
لكن خشيت بأن تقول عواذلى * قد جن هذا الشيخ فى هذا الصبى
فارحم فديتك حرقة قد قاربت * كشف القناع بحق ذياك النبى
لاتفضحن بحبـك الصب الذى * جرعته فى الحب أكدر مشرب

قال القاضي جمال الدين عبد القاهر التبريزي كان الذي يهواه القاضي شمس الدين بن خلكان الملك المسعود بن المظفر صاحب حماة وكان قد تيمه حبه وكنت أنا عنده في العادلية فتحدثنا في بعض الليالي الى أن راح الناس من عنده فقال لم أنت ههنا وألقى علي قفروة وقام يدور حول البركة في بيت العادلية ويكرر هذين البيتين الى أن أصبح وتوضأنا وصلينا والبيتان المذكوران هما

أنا والله هالك * آيس من سلامتي
أوأرى القامة التي * قد أقامت قيامتي

ويقال انه سأل بعض أصحابه عما يقوله أهل دمشق فيه فاستعفاه فألح عليه فقال يقولون انك تكذب في نسبك وتأكل الحشيشة وتحب الصبيان فقال أما النسب والكذب فيه فاذا كان لابد منه كنت أنتسب الى العباس أوالى علي بن أبي طالب أوالى واحد من الصحابة وأما النسب الى قوم لم يبق لهم بقية وأصلهم قوم مجوس فما فيه فائدة وأما الحشيشة فالكل ارتكاب محرم واذا كان ولابد فكنت أشرب الخمر لانه ألذ وأما محبة الغلمان فاني قد أجبتك عن هذه المسئلة وذكره الصاحب كمال الدين بن العديم ونسبه الى البرامكة ومن شعره أيضا

وسرب ظباء في غدير تخالهم * بدورا بأفق الماء تبدو وتغرب
يقول عذولي والغرام مصاحبي * أمالك عن هذي الصبابة مذهب
وفي دمك المطلول خاضوا كما ترى * فقلت له دعهم يخوضوا ويلعبوا

وقال أيضا مضمنا

كم قلت لما أطلعت وجناته * حول الشقيق الغض روضة اس
أعذاره الساري المجول بخده * ما في وقوفك ساعة من باس

وقال أيضا

لما بدا العارض في خده * بشرت قلبي بالسلو المقيم
وقلت هذا عارض ممطر * فجاءني فيه العذاب الاليم

وقال أيضا

وما سر قلبي منذ شطت بك النوى * نعيم ولا لهو ولا متصرف
ولا ذقت طعم الماء الا وجدته * سوى ذلك الماء الذي كنت أعرف
ولم أشهد اللذات الا تكلفا * وأي سرور يقتضيه التكلف

وقال أيضا

أحبابنا لو لقيتم في اقامتكم * من الصبابة ما القيت في ظعني
لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا * والبر من أدمعي ينشق بالسفن

وقال أيضا

تمثلتموني والديار بعيـــدة * تخيل لي أن الفؤاد لكم مغنى
وناجاكموقلبي على البعد والنوى * فاوحشتمولفظا وانسيتم معنى

وقال أيضا

أنظر الى عارضـــه فوقه * لحاظه يرسل منها الحتوف
تعاين الجنـــة في خده * لكنها تحت ظلال السيوف

وقال في ملاح أربعة يلقب أحدهم بالسيف

ملاك بلدتنا بالحسن أربعـــة * بحسنهم في جميع الخلق قد فتكوا
تملكوا مهج العشاق وافتخروا * بالسيف قلبي ولولا السيف ما ملكوا

وقال أيضا

الا ياسائرا في فقـــد عمر * يقاسي في السرى حزنا وسهلا
قطعت نقا المشيب وجزت عنه * وما بعد النقا الا المصـــلى

وقال أيضا

أي ليـــل على المحب أطاله * سائق الظعـــن يوم زم جماله
يزجر العيس طاويا يقطع المهـــمه عســـفا سهوله ورماله
أيها السائق المجـــد ترفق * بالمطايا فقـــد سئمن الرحاله
وأنخها هنيهـــــة وأرحها * قد براها فرط السرى والكلاله
لا تطل سيرها العنيف فقد برّح بالصب في سراها الاطاله
قد تركتم وراءكم حلف وجد * باديا في محلكم اطـــلاله
يسأل الربع عن ظباء المصلى * ما على الربع لو أجاب سؤاله
ومحال من المحيـــل جواب * غير أن الوقوف فيها عـــلاله
هذه ســـنة المحبين يبكو * ن على كل مـــنزل لا محاله
يا ديار الاحباب لا زالت الأد * مع في ترب ساحتيك منـاله
وتمشى النســـيم وهو عليل * في مغانيـــك ساحبا أذياله
أين عيش مضى لنا فيك ما أســـ * ـرع عنـــا ذهابه وزواله
حيث وجه الشباب طلق نضير * والتصابي غصـــونه ميـاله
ولنا فيك طيب أوقات أنس * ليتنا في المنام نلـــقى مثاله
وبأرجاء جوك الرحب سرب * كل عـــين تراه تهوى جماله

من فتاة بديعة الحسن ترنو * من جفون لحاظها مقتاله
ورخيم الدلال حلو المعانى * تتثنى أعطافه مختاله
ذو قوام تود كل غصون البـ * ـان لو أنها تحاكى اعتداله
وجهه فى الظلام بدر تمام * وعذاراه حوله كالهلاله
ظبية تبهر العيون جمالا * وغزال تغار منه الغزاله
ياخليلى اذا أتيت ربا الجر * عا وعاينت روضه وظلاله
قف به ناشدا فؤادى فلى ثم نوار أخشى عليه ضلاله
وبأعلى الكثيب بيت أغض الطرف عنه مهابة وجلاله
كلما جئته لاسأل عنه * أظهر الغنج غيرة وتياله
أنا أدرى به ولكن صونا * أتعامى عنه وأبدى جهاله
منزل حبه على قديم * فى زمان الصبا وعصر البطاله
ياعريب الحمى اعذرونى فانى * ماتجنبت أرضكم عن ملاله
حاش لله غير أنى أخشى * من عدو يسعى فقينا المقاله
فتأخرت عنكم فانعامن * طيفكم فى المنام يهدى خياله
أتمنى فى النوم زور خيال * والأمانى اطماعها قتاله
ياأهيل النقا وحق ليالى الـ * ـوصل ماصبوتى عليكم ضلاله
فى مذ غبتمو عن العين نار * ليس تخبو وأدمع هطاله
فصلوا ان شئتمو أو فصدوا * لاعدمنا كم على كل حاله

وقال أيضا

يارب ان العبد يخفى عيبه * فاستر بحلمك مابدا من عيبه
ولقد أتاك ومآله من شافع * لذنوبه فاقبل شفاعة شيبه

وقال أيضا

أعدمتنى بالجوى ياقاتر المقل * فصح وجدى على مابى من العلل
وملت عنى الى الواشى فلا عجب * والغصن مازال مطبوعا على الميل
ياواحد الحسن عدنى زورة حلما * وهايدى ان نوى قد جفامقلى
ياجيرة بأعالى الخيف من أضم * خيبتمو بجفاكم فى الهوى أملى
وملتمو بجميل الصبر عن دنف * أجل مايتمنى سرعة الاجل
تجرى عليه متى غبتم مدامعه * ومأعسى ينقع البا كى على طلل

وقال أيضا

أيا غادرا خانت مواثيق عهده * لقد جرت في حكم الغرام على الصب
وأقصيته من بعد أنس وصحبة * وما هكذا فعل الاحبة والصحب
فلله أيام تقضت حميدة * بقربك واللذات في المنزل الرحب
وإذ أنت في عيني ألذ من الكرى * وأشهى الى قلبي من البارد العذب
فلهفي على ذاك الزمان الذي غدت * عليه دموع العين دائمة السكب
ومذ صرت ترضيني بقول مملق * وتظهر لي سلما أشد من الحرب
ثنيت عناني عن هواك زهادة * وان كنت في أعلى المراتب من قلبي
لأني رأيت القلب عندك ضائعا * تعذبه كيف اشتهيت بلا ذنب
ولم تحفظ الود الذي هو بيننا * ولم ترع أسباب المودة والحب
ولا أنت في قيد المحب اذا غدا * تقلبه الاشواق جنبا الى جنب
ولا أنت ممن يرعوي لمقالتي * فاشفي قلبي بالشكية والعتب
ولا رمت منك القرب الا جفوتني * وأبعدتني حتى أيست من القرب
وأصغيت للواشي وصدقت قوله * وضيعت ما بيني وبينك بالكذب
فلم يبق لي والله فيك ارادة * كفاني الذي قاسيت فيك من الحب
ولا لي في حبيك ما عشت رغبة * أبى الله أن تسبي فؤادي أو تصبي
ومن ذا الذي يقوى على حمل بعض ما * تجرعته بالذل من خلقك الصعب
فلا ترج مني بعد ذا حسن صحبة * فحسبي سلوا بعض ما قلته حسبي
فلا تعتبني فقد قطعت مطامعي * وخففت حتى في الرسائل والكتب

وقال في المعنى

أيا معرضا عني بغير جناية * أما تستحي من فرط تيهك والعجب
سلوتك فاصنع ما تشاء فانه * محا كثرة التقبيح حبك من قلبي

(من كتاب وفيات الاعيان)

ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ) (١٣٣١ - ١٤٠٥ م)

هو محمد بن عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي قاضي القضاة وينسب سلفه الى وائل بن حجر من عرب اليمن وكانوا نزلاء اشبيلية فعند الحادثة بالاندلس انتقلوا منها عن نباهة وشهرة واستقروا بتونس وأما المترجم له فهو رجل فاضل حسن الخلق جم الفضائل باهر الخصل رفيع القدر ظاهر الحياء أصيل المجد وقور المجلس خاصي الرئي على لهمة عزوف عن الضيم صعب المقادة قوي الجاش طامح لفنن الرئاسة خاطب للحظ متقدم في فنون عقلية ونقلية متعدد المزايا سديد البحث كثير الحفظ صحيح التصور بارع الخط مغربي بالتجلة جواد حسن العشرة مبذول المشاركة مقيم لرسم التعين عاكف على رعي خلال الاصالة مفتخر من مفاخر التخوم المغربية قرأ القرآن ببلده وتأدب بأبيه وانصرف من افريقية منشئه بعد أن تعلق بالخدمة السلطانية على الحداثة واقامته لرسم العلامة بحكم الاستنابة عام ثلاثة وخمسين وسبعمائة وعرف فضله وخطبه السلطان منفق سوق العلم والادب أبي عنان فارس بن علي بن عثمان واستحضره بمجلس المذاكرة فعرف حقه وأوجب فضله واستعمله على الكتابة أوائل عام ستة وخمسين ثم عظم عليه حمل الخاصة من طلبة الحضرة لبعده عن حسن التأني وشفوفه بثقوب الفهم وجودة الادراك فاغروا به السلطان فاصابته شدة تخلصه منها أجله الى أن أفضى الامر الى السعيد ولده فاعتبه قيم الملك لحينه وأعاده الى رسمه ودالت الدولة الى السلطان أبي سالم وكان له به الاتصال قبل تنوع المحنة بما أكد حظوته فقلده ديوان الانشاء مطلق الجرايات محرر السهام نبيه الرتبة الى آخر أيامه ولما ألقت الدولة مقادها بعده الى الوزير عمر بن عبد الله مدبر الامر وله اليه وسيلة وفي حليه شركة وعنده حق رابه تقصيره عما ارتمى اليه أمله فساء ما بينهما بما آل الى انفصاله عن الباب المريني وورد على الاندلس في أول ربيع الاول عام أربعة وستين وسبعمائة واهتزله السلطان وأركب خاصته لتلقيه وأكرم وفادته وخلع عليه وأجلسه بمجلسه ولم يدخر عنه برا ومأكلة ومراكبة ومطايبة وله التاريخ الكبير الذي سماه ديوان العبر وكتاب المبتدا والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر وقد عرف في آخره بنفسه وأطال وذكر أنه لما كان بالاندلس وحظي عند السلطان أبي عبد الله شم من وزيره ابن الخطيب رائحة الانقباض فقوض الرحال ولم يرض من الاقامة بحال ولعب بكرته صوالجة الاقدار حتى حل بالقاهرة المعزية واتخذها خير دار وتولى بها قضاء القضاة ثم قدم على ترلنك فاكرمه غاية الاكرام وأعاده الى الديار المصرية ولقد كان ابن خلدون هذا من عجائب الزمان ولمعن النظم والنثر ما يزري بعقود الجمان مع الهمة العلية والتبحر في العلوم النقلية والعقلية وكانت وفاته بالقاهرة

(من كتاب نفح الطيب للمقري)

تقي الدين المقريزي (٧٦٠ - ٨٤٥ هـ) (١٣٥٨ - ١٤٤١ م)

هو أحمد بن عبد الصمد الشيخ الامام العالم البارع عمدة المؤرخين وعين المحدثين تقي الدين المقريزي البعلبكي الاصل المصري الدار والوفاة نشأ بالقاهرة وتفقه على مذهب الحنفية ثم تحول شافعيا بعد مدة طويلة وتفقه وبرع وصنف التصانيف المفيدة النافعة الجامعة لكل علم وكان ضابطا مؤرخا مفننا محدثا معظما في الدول ولي حسبة القاهرة أول ولايته من قبل الملك الظاهر برقوق عوضا عن شمس الدين محمد النجاسي ثم عزل بالقاضي بدر الدين العيني ثم وليها عنه أيضا وولي عدة وظائف دينية وعرض عليه قضاء دمشق في أوائل الدولة الناصرية فأبى أن يقبل ذلك وكان اماما مفننا كتب الكتب الكثيرة بخطه وانتقى أشياء وحصل الفوائد واشتهر ذكره في حياته وبعد موته في التاريخ وغيره حتى صار به يضرب المثل وكان له محاسن شتى ومحاضرة جيدة الى الغاية لاسيما في ذكر السلف من العلماء والملوك وغير ذلك وكان منقطعا في داره ملازما للعبادة قل أن يتردد الى أحد الا لضرورة وقرأت عليه كثيرا من مصنفاته وانتفعت به واستفدت منه وكان كثير الكتابة والتصنيف وصنف كتبا كثيرة من ذلك إمتاع الاسماع في ستة مجلدات وهو كتاب نفيس وله كتاب الخبر عن البشر ذكر فيه القبائل في أربعة مجلدات وعمل له مقدمة في مجلد وكتاب السلوك في معرفة دول الملوك في عدة مجلدات يشتمل على ذكر ما وقع من الحوادث الى يوم وفاته وله تاريخه الكبير المقفى في تراجم أهل مصر الواردين اليها ولو كمل هذا التاريخ تجاوز الثمانين مجلدا وله كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار في عدة مجلدات وهو في غاية الحسن وكتاب مجمع الفوائد ومنبع العوائد كمل منه نحو الثمانين مجلدا كالتذكرة وكتاب شذور العقود وكتاب الاوزان والاكيال الشرعية وكتاب ازالة التعب العناء في معرفة الحال في الغناء وكتاب المقاصد السنية في الاجسام المعدنية وله عدة تصانيف أخر ولم يزل ضابطا حافظا للوقائع والتاريخ الى أن توفي ودفن بالقاهرة

(من كتاب المنهل الصافي لابي المحاسن)

(تم)